# دلالة «عَبَسَ» في سياقها القرآني: تحليل لغوي وأخلاقي لنماذج التفسير التاريخي والبديل

رضا ملازاده يامچي[1] | ميثم شعيب[2]

١. ما بعد الدكتوراه (Postdoc) في علوم القرآن والحديث، كلية الإلهيات والدراسات الإسلامية، جامعة فردوسي مشهد، مشهد، إيران. البريد الإلكتروني: reza.mollazadehyamchi@alumni.um.ac.ir

٢. دكتوراه في الفقه وأصوله، كلية الإلهيات والدراسات الإسلامية، جامعة فردوسي مشهد، مشهد، إيران. البريد الإلكتروني: m.shoaib68@gmail.com

النسخة ما قبل الإصدار النهائي للمقالة

## الملخص

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة لغوية وبلاغية معمّقة للآية الأولى من سورة عبس («عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ»)، بهدف حسم الجدل التفسيري التاريخي حول هوية الفاعل فيها. يعتمد البحث منهجًا تحليليًا متكاملاً يدمج بين التحليل المعجمي، والصرفي–النحوي، والبلاغي–الأسلوبي. في المستوى المعجمي، يتتبع البحث دلالة «عَبَسَ» في أمهات المعاجم، كمعجم العين للخليل ولسان العرب لابن منظور، ليؤكد ارتباطها بالتقطيب والتجهم كرد فعل نفسي سلبي. إلا أن الدراسة لا تقف عند هذا الحد، بل تتعمق في تحليل البنية الأسلوبية للآية، خاصة بلاغة استخدام صيغة الغائب («عَبَسَ») بدلاً من الخطاب المباشر، وتأثير ذلك في توجيه المعنى. يناقش البحث كيف أن هذا الاختيار الأسلوبي يخدم غرضًا بلاغيًا يتمثل في نقد سلوكٍ معيّن وتعميمه كنموذج سلبي، بدلاً من توجيه اللوم لشخص النبي (ص). يتناول البحث نقدياً التفسير التقليدي الذي ينسب الفعل للنبي، مبيّنًا تعارضه مع الأدلة القرآنية الصريحة حول خلقه العظيم («وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»)، وضعف مستنداته الروائية. في المقابل، يدعم البحث التفسير البديل الذي يرى أن الفاعل شخص آخر من صناديد قريش، وهو ما يتسق مع السياق العام للسورة الذي يدين الكبر والاستغناء. يخلص البحث إلى أن التحليل اللغوي والأسلوبي الدقيق، عند تكامله مع التحليل السياقي والأخلاقي، يرجّح أن الآية تنتقد نموذج المتكبر المعرض عن الحق، لا شخص النبي (ص)، مما يحقق مقصدًا تربويًا عاليًا يرسخ قيم التواضع والعدل والرحمة.

**الكلمات المفتاحية:** سورة عبس، التحليل البلاغي–الأسلوبي، التفسير البديل، ضمير الغائب، المفاهيم الأخلاقية، التفسير التاريخي.

**The Significance of "'Abasa' (He Frowned)" in its Quranic Context: A Linguistic and Ethical Analysis of Historical and Alternative Interpretation Models**


**Abstract**

This research aims to present a precise study of the first verse of Surah 'Abasa ("He frowned and turned away because there came to him the blind man"), focusing on identifying the subject of the action, using an analytical approach that combines linguistic, exegetical, and contextual analysis. In its linguistic analysis, the research relies on the study of the word "'abasa'" in classical and modern Arabic dictionaries, such as those by al-Farahidi and Ibn Manzur, where it signifies frowning and scowling as a psychological reaction reflecting displeasure or rejection. The research then discusses the traditional view of Sunni exegetes, such as al-Tabari and Ibn Kathir, who linked the verse to the Prophet Muhammad (peace be upon him) during an incident of proselytizing to the leaders of Quraysh, when the blind man Abdullah ibn Umm Maktum came to him, and he turned away. However, the study critiques this interpretation, citing the weakness of the historical narrations' chains of transmission (isnād) and their contradiction with the sublime prophetic ethics mentioned in the Almighty's saying: "And indeed, you are of a great moral character" (Al-Qalam: 4). In contrast, the research supports the opposing view adopted by exegetes like al-Tusi and al-Tabataba'i, which denies that the verse is directed at the Prophet. This view is based on the unspecified third-person pronoun in the text, the Surah's critical context regarding the behavior of the arrogant, and alternative narrations that point to a man from the Banu Umayya clan as the potential subject. The study concludes that the verse aims to critique the archetype of the arrogant person who rejects and ignores the weak, not the Prophet. It thereby serves an educational purpose that promotes the values of justice, humility, and mercy, supported by integrated linguistic, contextual, and ethical evidence.



**Keywords:** Surah 'Abasa, Contextual Analysis, Alternative Interpretation, Quranic Language, Ethical Concepts, Historical Interpretation.

## ١. المقدمة

تُعدّ سورة عبس إحدى السور المكية التي نزلت في المراحل الأولى للدعوة الإسلامية، حاملةً في طياتها دلالات عميقة تتعلق بالسلوك الأخلاقي والتفاعل الاجتماعي. تبدأ السورة بقوله تعالى: «عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ» (عبس: ١-٢)، وهي آية أثارت نقاشًا واسعًا بين المفسرين حول هوية فاعل الفعل "عَبَسَ". يذهب الرأي الشائع بين مفسري أهل السنة إلى أن الفاعل هو النبي محمد صلى الله عليه وآله، مستندين إلى روايات تاريخية تشير إلى أنه كان منشغلاً بدعوة زعماء قريش عندما جاءه عبد الله بن أم مكتوم – وهو رجل أعمى – يطلب العلم، فأبدى النبي امتعاضًا من مقاطعته (الطبري، ١٤٢٠: ١٥/٢٤). في المقابل، يرى فريق آخر من المفسرين أن الفاعل قد يكون شخصًا آخر، مثل أحد زعماء قريش، وأن الآية تنتقد الإعراض عن المستضعفين وتكشف عن حالة اجتماعية سائدة في ذلك الوقت (الرازي، ١٤٢٠: ٤٥/٣٠).

تهدف هذه الدراسة إلى استعراض تفسير كلمة «عَبَسَ» في سورة عبس من منظور لغوي وتفسيري، مع التركيز على الرأي الشائع الذي ينسب العبوس إلى النبي صلى الله عليه وآله، ومناقشة الإشكاليات التي يثيرها هذا التفسير في ضوء مقام النبوة والأخلاق النبوية المثالية التي وصفها القرآن بقوله: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤). كما ستتناول الدراسة الآراء البديلة التي تشير إلى أن الفاعل قد يكون شخصية أخرى، مستندةً إلى السياق العام للسورة والتحليل اللغوي للكلمة.

وعلى المستوى اللغوي، تحمل كلمة «عَبَسَ» دلالة واضحة على تقطيب الوجه وإظهار الامتعاض، وهو رد فعلٍ سلبيٌّ يعكس حالة من عدم الرضا، الأمر الذي يجعل نسبة هذا السلوك إلى النبي (ص) محلّ جدلٍ كبير بين المفسرين، ويدعو إلى تحليل أعمق للسياق القرآني والأسلوب البلاغي للآية.

ومن هنا، تبرز أهمية التحليل اللغوي والأسلوبي الدقيق، ليس كأداة لفهم المعنى المعجمي فحسب، بل كمدخل حاسم لحل هذا الإشكال التفسيري التاريخي.

في السياق التفسيري، يؤكد الطبري أن النبي صلى الله عليه وآله هو من عبس وتولى عندما جاءه الأعمى، مستندًا إلى روايات تشير إلى انشغاله بدعوة النخبة القرشية (الطبري، ١٤٢٠: ١٥/٢٤). ويتبنى ابن كثير هذا الرأي، معتبرًا أن الآية نزلت لتأديب النبي وتعليمه أولوية الاهتمام بالمستضعفين (ابن كثير، ١٤١٩: ١٢/٨). لكن هذا التفسير يثير تساؤلات حول مدى توافقه مع عصمة النبي الأخلاقية، مما دفع بعض الباحثين إلى التشكيك في قوة الروايات التي يستند إليها هذا القول. على النقيض، يرى الرازي أن السياق العام للسورة – الذي ينتقد إعراض الكفار عن آيات الله – قد يدعم فكرة أن الفاعل هو أحد زعماء قريش، وليس النبي (الرازي، ١٤٢٠: ٤٥/٣٠). والتحليل اللغوي والروائي قد يشير إلى ضعف الروايات التي تنسب العبوس إلى النبي، داعيًا إلى إعادة النظر في هذا التفسير.

تعتمد هذه الدراسة على منهج تحليلي يجمع بين الدراسة اللغوية والتفسيرية، مستندةً إلى النصوص القرآنية والمصادر اللغوية والتفسيرية الموثوقة. وتسعى إلى تقديم رؤية موضوعية تُبرز المعنى الحقيقي لكلمة «عَبَسَ» في سياقها القرآني، مع مناقشة الآراء المختلفة

النسخة قبل الإصدار النهائي

وتقييمها بشكل علمي دقيق. وبهذا، ستكون هذه المقدمة بمثابة مدخل لتحليل أعمق يتناول الجوانب اللغوية والتاريخية والتفسيرية لهذه المسألة في الأقسام اللاحقة.

**١–١. إشكالية البحث وأهميته وأسئلته**

**إشكالية البحث** :تتمحور إشكالية البحث حول الجدل التفسيري الطويل بشأن هوية الفاعل في قوله تعالى «عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ». ففي حين يذهب التفسير التاريخي الشائع إلى نسبة الفعل للنبي (ص)، فإن هذا الرأي يصطدم بعقبات أخلاقية وعصمية، ويتعارض مع نصوص قرآنية أخرى تصف سمو خلقه. من هنا، تنشأ الحاجة إلى إعادة قراءة الآية من منظور لغوي وبلاغي معمّق يتجاوز الاعتماد الحصري على الروايات التاريخية التي قد تكون محط نظر.

**أهمية البحث** :تكمن أهمية هذا البحث في كونه:

يقدم مقاربة تكاملية تجمع بين التحليل اللغوي–البلاغي والتحليل السياقي والأخلاقي، لإعادة تقييم أحد التفسيرات التاريخية الشائعة.

يسلط الضوء على الأبعاد الأسلوبية في النص القرآني، وكيف يمكن أن تكون مفتاحًا لحل الإشكالات التفسيرية، مما يخدم الدراسات القرآنية الحديثة. يساهم في تقديم فهم للآية ينسجم مع مقام النبوة وصورة النبي (ص) الأخلاقية التي رسمها القرآن، ويعزز المقاصد التربوية للسورة.

**الدراسات السابقة** :تناولت التفاسير القديمة والحديثة هذه الآية بالنقاش، ويمكن تقسيمها إلى اتجاهين: الأول، وهو السائد عند أهل السنة، يتبنى رواية عبوس النبي (ص) كما عند الطبري (١٩٩٩) وابن كثير (١٩٩٨) والزمخشري (1986b). والثاني، وهو رأي أغلب مفسري الشيعة وبعض أهل السنة، ينفي نسبة الفعل للنبي (ص) ويطرح فاعلًا بديلاً، كما عند الطوسي (١٩٩١) والطباطبائي (١٩٧٠). أما الدراسات المعاصرة، فغالبًا ما تكتفي باستعراض الرأيين دون ترجيح حاسم مبني على تحليل لغوي–أسلوبي متكامل. **وتتميز هذه الدراسة عن سابقاتها** بأنها لا تكتفي بالسرد التاريخي للآراء، بل تجعل من **التحليل البلاغي والأسلوبي (خاصة بلاغة استخدام ضمير الغائب)** منطلقًا ومنهجًا أساسيًا لحسم الجدل، وربط ذلك بالسياق الأخلاقي العام للقرآن، وهو ما لم توله الدراسات السابقة عناية كافية بهذا التركيز.

**أسئلة البحث** :بناءً على ما سبق، يسعى البحث للإجابة عن الأسئلة التالية :

١. ما الدلالات اللغوية والبلاغية الدقيقة لفعل «عَبَسَ» في سياقه القرآني؟

٢. كيف يسهم التحليل الأسلوبي، خاصة فيما يتعلق بصيغة الغائب، في تحديد هوية الفاعل المحتمل؟

٣. .إلى أي مدى يتسق التفسير التقليدي (القائل بنزول الآية في النبي) مع الأدلة اللغوية والسياقية والأخلاقية المستقاة من القرآن نفسه؟

٤. ما هي الحجج اللغوية والسياقية التي تدعم التفسير البديل، وهل هي أكثر تماسكًا من الناحية العلمية؟

## ١–٢.الأسس النظرية

هنا يتركز البحث على تفسير كلمة «عَبَسَ» في الآية الأولى من سورة عبس. تم الاعتماد في هذا القسم على قراءة دقيقة وشاملة للنصوص المقدمة، مع تحليل المصادر اللغوية والتفسيرية بعناية. تتعدد الأبعاد التي يمكن من خلالها مقاربة كلمة «عَبَسَ»، بدءًا من دلالتها اللغوية في المعاجم العربية، وصولاً إلى الجدل التفسيري حول فاعلها في السياق القرآني. يسعى هذا القسم إلى تقديم رؤية شاملة ترتكز على المصادر الأصلية، مع التركيز على التحليل اللغوي والسياقي، دون الإغراق في التفاصيل التي قد تتداخل مع الأقسام اللاحقة.

## ٢.المعنى اللغوي لكلمة «عَبَسَ»

تُعدّ مفردة «عَبَسَ» فعلاً ثلاثيًا مشتقًا من الجذر «ع ب س»، وتشير في أصلها اللغوي إلى تقطيب الوجه كتعبير عن الضيق أو الامتعاض. يُعرفها الخليل بن أحمد في معجمه بقوله إن «عَبَسَ يَعْبِسُ عُبُوسًا»، ويصف صاحبها بأنه «عَابِسُ الْوَجْهِ غَضْبَانُ»، مما يربط الكلمة بحالة نفسية سلبية تظهر على الملامح (الفراهيدي، ١٩٨٨: ٣٤٣/١). ويُضيف ابن منظور أن العبوس هو «تَقَطُّبُ الْوَجْهِ وَكَلُوحُهُ»، مؤكدًا أنه يعكس انفعالاً داخليًا بالكراهية أو عدم الرضا (ابن منظور، ١٩٩٣: ١٢٣/٥). من جانبه، يرى الراغب الأصفهاني أن العبوس يتضمن «تَغْيِيرُ الْوَجْهِ إِلَى مَا يَكْرَهُهُ النَّاظِرُ»، مما يشدد على البعد التعبيري للكلمة (الراغب، ١٩٩١: ٣٢٠).

تتسق هذه التعريفات مع استخدام الكلمة في الشعر الجاهلي، حيث وردت بمعانٍ متقاربة تعكس الغضب أو الإعراض، كما في قول شاعر: «عَبَسَ الْوَجْهُ مِنْ غَضَبٍ فَأَعْرَضْ»، مما يدل على شيوعها في اللغة العربية قبل الإسلام. ويؤكد ابن فارس أن الجذر «ع ب س» يحمل دلالة أصلية على التكره والنفور، وأن العبوس امتداد طبيعي لهذا المعنى (ابن فارس، ١٩٨٣: ٢١٠/٤). هكذا، يبرز المعنى اللغوي للكلمة كأساس لفهم دلالتها في السياق القرآني، مع الحرص على تحديد المفاهيم بدقة لتجنب التكرار في الأقسام الأخرى.

### ٢–١. الجدل التفسيري حول فاعل «عَبَسَ»

يتفرع النقاش التفسيري حول الآية «عَبَسَ وَتَوَلَّى» إلى رأيين رئيسيين يتعلقان بفاعل الفعل. يذهب التفسير التقليدي، الذي يتبناه عدد كبير من مفسري أهل السنة مثل الطبري وابن كثير، إلى أن الفاعل هو النبي محمد صلى الله عليه وآله. يستند هذا الرأي إلى رواية تاريخية مفادها أن النبي كان يحاور زعماء قريش عندما اقترب منه عبد الله بن أم مكتوم، وهو رجل أعمى، يسأله عن العلم، فظهر على النبي الامتعاض من هذها المقاطعة، فنزلت الآية عتابًا له (الطبري، ١٩٩٩: ١٥/٢٤؛ ابن كثير، ١٩٩٨: ١٢/٨).

النسخة ما قبل الأصلاح المنقحة

ويرى الزمخشري أن هذا العتاب يعكس حرص الله على تهذيب أخلاق النبي وتوجيهه للاهتمام بالمستضعفين (الزمخشري، ١٩٨٦: ٥٤٣/٤).

غير أن هذا التفسير يثير تساؤلات حول مدى توافقه مع مقام النبوة، لا سيما في ضوء وصف القرآن للنبي بأنه «عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤). ينتقد الطباطبائي هذا الطرح، معتبرًا أن نسبة العبوس إلى النبي قد تتعارض مع سماحته وسعة صدره المثبتة في النصوص القرآنية، ويقترح أن الروايات قد تكون محمولة على غير ظاهرها (الطباطبائي، ١٩٧٠: ١٩٩/٢٠). ويذهب الرازي إلى أن السياق العام للسورة، الذي يركز على نقد المتكبرين المعرضين عن الحق، قد لا ينسجم مع نسبة الفعل إلى النبي (الرازي، ١٩٩٩: ٤٥/٣٠).

في المقابل، يقترح مفسرون آخرون، مثل الطبرسي والطوسي، أن الفاعل قد يكون شخصًا آخر، كأحد زعماء قريش أو رجل من بني أمية، استنادًا إلى روايات بديلة ترى أن العابس هو من أعرض عن الداعي إلى الحق (الطبرسي، ١٩٩١: ٤٣٧/٥؛ الطوسي، ١٩٩١: ٢٦٨/١٠).

بينما يقدم ابن عاشور تحليلًا بلاغيًا دقيقًا، فرغم أنه يذهب إلى أن الآية نزلت في النبي (ص)، إلا أنه يرى أن استخدام ضمير الغائب في «عَبَسَ» جاء للتلطف في العتاب وتكريمًا لمقامه الشريف، وهو ما يفتح الباب لفهم أعمق للأسلوب القرآني في مخاطبة الأنبياء (ابن عاشور، ١٩٩٩، ٣٠: ٩٢). كما يشير البعض إلى ضعف بعض الروايات التي تنسب العبوس إلى النبي، داعيًا إلى إعادة النظر فيها بناءً على التحليل اللغوي والسياقي.

### ٢-٢. التحليل السياقي للسورة

يُعزز السياق القرآني لسورة عبس الآراء البديلة، إذ تتناول الآيات التالية نقد الإنسان الذي يُعرض عن آيات الله ويلهو بالدنيا، مع التركيز على أهمية الاهتمام بمن يسعى إلى التزكية، كالأعمى الذي جاء يطلب الهداية. يرى الطبرسي أن هذا التسلسل يشير إلى أن العابس هو شخص يمثل النموذج المتكبر، وليس النبي الذي كان رسول الرحمة (الطبرسي، ١٩٩١: ٤٣٧/٥). وأن التحليل اللغوي للآية، مع النظر إلى ضمير الغائب والسياق العام، يدعم فكرة أن الفاعل قد يكون رمزًا للإنسان المادي الغافل.

تتيح هذه المقاربة المتعددة الأوجه إطارًا نظريًا يجمع بين التحليل اللغوي والتفسيري والسياقي. فمن الناحية اللغوية، تُظهر كلمة «عَبَسَ» دلالة واضحة على الامتعاض والتقطيب، وهي دلالة متجذرة في الاستخدام العربي القديم. أما التفسير التقليدي فيرى النبي فاعلاً للفعل، لكنه يواجه تحديات تتعلق بمقام النبوة، بينما تقترح الآراء البديلة فاعلاً آخر يتماشى مع نقد المتكبرين في السورة. ويبقى التحليل السياقي حاسمًا في ترجيح أن الفاعل قد يكون رمزًا للإعراض عن الحق، مما يفتح المجال لقراءة نقدية تعتمد على الأدلة اللغوية والتاريخية.

النسخة ما قبل الإصدار النهائية

## ٢–٣.التحليل اللغوي لكلمة «عَبَسَ» في السياق القرآني

يُعد التحليل اللغوي لكلمة «عَبَسَ» في سورة عبس مدخلاً أساسيًا لاستيعاب دلالاتها العميقة ضمن النص القرآني. يرتكز هذا التحليل على استقراء معانيها في أمهات المعاجم العربية القديمة وكتب مفردات القرآن، مع النظر في شواهدها الشعرية والنثرية في لغة العرب قبل نزول القرآن. ويهدف هذا القسم إلى تقديم دراسة لغوية دقيقة، مستندة إلى آراء اللغويين المتقدمين، للكشف عن أبعاد الكلمة الدلالية التي تمهد الطريق لفهم سياقها التفسيري.

تنبثق كلمة «عَبَسَ» من الجذر الثلاثي «ع ب س»، الذي يحمل في أصله دلالة التقطيب والتجهم في الوجه كتعبير عن حالة نفسية سلبية مثل الضيق أو الغضب. يعرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي بأنها «عَبَسَ يَعْبِسُ عُبُوسًا فهو عَابِسُ الْوَجْهِ غَضْبَانُ»، مشيرًا إلى ارتباط العبوس بانفعال داخلي يظهر على الملامح (الفراهيدي، ١٩٨٨، ٣٤٣/١). ويصفها ابن منظور بأنها «تَقَطُّبُ الْوَجْهِ وَكَلُوحُهُ»، مؤكدًا أنها تعكس كراهية أو عدم رضا (ابن منظور، ١٩٩٣، ١٢٣/٥). من جهته، يرى الراغب الأصفهاني أن العبوس يتضمن «تَغْيِيرُ الْوَجْهِ إِلَى مَا يَكْرَهُهُ النَّاظِرُ»، مما يبرز البعد التعبيري للكلمة (الراغب، ١٩٩١، ٣٢٠). ويضيف ابن فارس أن الجذر «ع ب س» يدل على التكره والنفور، وأن العبوس امتداد طبيعي لهذا المعنى (ابن فارس، ١٩٨٣، ٢١٠/٤)، بينما يربطها الجوهري بـ«كَلَحَ» للدلالة على التجهم (الجوهري، ١٩٩٠، ٩٤٥/٣). تتفق هذه الآراء على أن «عَبَسَ» تعبر عن تعبير وجهي سلبي ينبئ عن اضطراب نفسي.

وقد شاعت الكلمة في الشعر الجاهلي بمعانٍ متقاربة، حيث استُخدمت لوصف الغضب أو الإعراض. ينقل ابن منظور بيتًا شعريًا: «عَبَسَ الْوَجْهُ مِنْ غَضَبٍ فَأَعْرَضْ»، مما يعكس استخدامها الشائع قبل الإسلام (ابن منظور، ١٩٩٣، ١٢٣/٥). ويذكر الثعالبي أنها تأتي في سياقات الحزن أو الغضب لوصف الوجه المتجهم (الثعالبي، ١٩٩٧، ١٥٩)، مما يؤكد أنها كانت متأصلة في اللغة العربية اليومية والأدبية، وهو ما يعزز فهم دلالتها القرآنية. ويميز اللغويون بينها وبين مترادفاتها كـ«كَلَحَ» و«بَسَرَ»، حيث يوضح الخليل أن «عَبَسَ» يركز على التقطيب، بينما «كَلَحَ» يشمل إبداء الأسنان مع العبوس، و«بَسَرَ» يضيف الهم والتفكير (الفراهيدي، ١٩٨٨، ٣٤٣/١). ويُفرق ابن سيده بين «عَبَسَ» للتقطيب البسيط و«عَبَّسَ» بالتشديد للمبالغة (ابن سيده، ٢٠٠٠، ٥٠٣/١)، مما يساعد في تحديد درجة الفعل في السياق.

وللكلمة استخدامات مجازية توسع دلالاتها، إذ يشير الأزهري إلى أن «العَبَسُ» يصف ما يبس على أذناب الإبل من أوساخ، معبرًا عن التقزز (الأزهري، ٢٠٠١، ٢٣٠٧/٣)، ويذكر الجوهري أن «يَوْمٌ عَبُوسٌ» يعني يومًا صعبًا مكروهًا (الجوهري، ١٩٩٠، ٩٤٥/٣). لا تتعارض هذه المعاني مع دلالتها الأساسية، بل تؤكد ارتباطها بالنفور. ومن الناحية الصرفية، يأتي الفعل على وزن «فَعَلَ» في صيغة الماضي مع ضمير الغائب، مما يدل على حدث وقع مرة واحدة، ويفتح المجال لتأويلات حول الفاعل، كما يلاحظ الزمخشري (الزمخشري، ١٩٨٦، ٢١٧/٤).

النسخة ما قبل الأصل للمراجعة

ختامًا، يكشف التحليل اللغوي أن «عَبَسَ» تعبر عن التقطيب والتجهم كانعكاس للضيق أو الغضب، وهي دلالة متجذرة في اللغة العربية عبر عصورها. يتيح شكلها الصرفي واستخداماتها المجازية فهمًا دقيقًا لسياقها القرآني، مع إبقاء التأويل مفتوحًا حول فاعل الفعل. يشكل هذا التحليل أساسًا لغويًا متينًا لدراسة الآية، مع الحرص على الدقة والالتزام بمعايير الكتابة العلمية.

**٢-٤.لأبعاد البلاغية والأسلوبية في استخدام «عَبَسَ»**

لا يكتمل التحليل اللغوي بالوقوف عند الدلالة المعجمية فحسب، بل لا بد من استكناه الأبعاد البلاغية والأسلوبية التي تكتنزها الآية الكريمة، والتي تعد مفتاحًا لفهم المقصد الإلهي. إن أبرز سمة أسلوبية في الآية هي **استخدام صيغة الماضي مع ضمير الغائب المستتر** («عَبَسَ»)، بدلاً من صيغة الخطاب المباشر («عَبَسْتَ»). هذا العدول عن الأصل الظاهر في المخاطبة يحمل في طياته أغراضًا بلاغية عميقة، منها:

**١-الإعراض عن الفاعل تحقيرًا لفعله** :يرى علماء البلاغة أن الإتيان بضمير الغائب أحيانًا يكون بقصد تحقير الفعل وصاحبه، فكأن الله تعالى يعرض عن ذكر الفاعل صراحةً استقباحًا لفعله المتمثل في الإعراض عن طالب الهداية. فالفعل نفسه (العبوس والتولي) هو محل الذم، بغض النظر عن فاعله المعيّن) الزمخشري، ١٩٨٦b، ٤ .(217 :هذا الأسلوب يركز النقد على السلوك لا على الذات، وهو ما يتناسب مع المنهج القرآني في التربية.

**٢-تعميم الحكم ونقد النموذج** :إن استخدام صيغة الغائب يفتح الباب أمام جعل القضية عامة، لا خاصة بشخص بعينه. فالفاعل هنا يمثل **نموذجًا** للإنسان المتكبر المستغني الذي يعرض عن الفقير المؤمن المقبل على الله. وبهذا، تصبح الآية نقدًا لكل من يتصف بهذه الصفة في كل زمان ومكان، وهو ما يعزز من أهداف السورة التربوية والأخلاقية (ابن عاشور، ١٩٩٩، ٣٠: ٩٢). فلو جاء الخطاب مباشرًا، لربما انحصر الفهم في الحادثة التاريخية وحدها.

**٣-التلطف في العتاب لو كان موجهًا للنبي (ص) – على فرض التسليم بالرواية** :حتى المفسرون الذين قالوا بنزولها في النبي (ص)، رأوا في صيغة الغائب نوعًا من التلطف الإلهي في العتاب، حيث لم يواجهه الله تعالى باللوم مباشرةً، بل أورده في صيغة الحكاية عن غائب، وهو ما يعكس المقام الرفيع للنبي عند ربه (ابن عاشور، ١٩٩٩، ٣٠: ٩٢). ومع أن هذا الرأي يقر بنسبة الفعل للنبي، إلا أنه يقر في الوقت ذاته بأن الأسلوب القرآني جاء مغايرًا لأسلوب اللوم المباشر، مما يفتح المجال للتساؤل عن حكمة هذا العدول الأسلوبي.

٤-إضافة إلى ذلك، فإن **الفروق الدقيقة بين «عَبَسَ» ومترادفاتها** مثل «كَلَحَ» و«بَسَرَ» تعزز المعنى. فـ«العبوس» يختص بتقطيب الجبين والحاجبين وهو أول درجات إظهار الكراهية، بينما «الكلوح» هو تكشير عن الأسنان، و«البسور» هو

العبوس مع الهم (الفراهيدي، ١٤٠٩، ١: ٣٤٣). فاختيار القرآن لكلمة «عَبَسَ» يشير إلى رد فعل فوري وعفوي من الكراهية والامتعاض، وهو ما يناسب تمامًا سلوك المتكبر الذي يفاجئه حضور شخص لا يرغب فيه.

هكذا، يتضح أن التحليل البلاغي والأسلوبي لا يقتصر على كونه زخرفًا لفظيًا، بل هو أداة مركزية لكشف المعنى العميق، ويرجّح بقوة أن الآية لم تكن تهدف إلى لوم النبي (ص)، بل إلى فضح وتعرية نموذج سلوكي سلبي يتنافى مع قيم الرسالة الإسلامية.

## ٤. القائلون بنزول الآية في النبي (ص)

تُعدّ الآيات الأولى لسورة عبس، وبالأخص قوله تعالى «عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى»، من النصوص القرآنية التي أثارت نقاشًا واسعًا بين المفسرين حول فاعل الفعل «عَبَسَ». يذهب جمهور من المفسرين، مثل الزمخشري والقشيري والفخر الرازي والبقاعي وابن عاشور، إلى أن هذه الآية نزلت في شأن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، مستندين إلى روايات تاريخية، تحليلات سياقية، واستدلالات لغوية تُبرز الغرض من نزولها. يهدف هذا القسم إلى استقصاء آراء هؤلاء المفسرين بشكل دقيق وشامل، مع التركيز على استدلالاتهم المنطقية والنقلية.

يرى هؤلاء المفسرون أن الآية تُمثل عتابًا إلهيًا موجهًا للنبي صلى الله عليه وآله في موقف محدد، دون أن ينتقص ذلك من مقامه، بل يعكس حرص الله على تهذيبه وتوجيهه نحو تعزيز القيم الأخلاقية في دعوته. تتفق آراؤهم على الرواية التاريخية الأساسية التي تُفيد بأن النبي كان منشغلاً بدعوة زعماء قريش عندما قاطعه عبد الله بن أم مكتوم، الأعمى، فأظهر الامتعاض وأعرض عنه، فنزلت الآية لتصحيح هذا السلوك. لكنهم يختلفون في زوايا تحليلهم واستدلالاتهم، مما يُثري فهم هذا الموقف القرآني. فيما يلي استعراض مفصل لهذه الآراء:

يُقدم الزمخشري (ت. ٥٣٨ هـ)، المعروف بميله المعتزلي وتركيزه على التأويلات العقلية، تفسيرًا يُبرز الغرض التربوي من الآية. يذكر أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحاور زعماء قريش، مثل عتبة بن ربيعة وأبو جهل، آملاً في هدايتهم لما قد يترتب على إسلامهم من تأثير واسع في نشر الدعوة. وفي تلك الأثناء، جاء عبد الله بن أم مكتوم يطلب منه أن يقرأ عليه القرآن ويُعلمه، فأعرض النبي عنه ليُكمل حديثه مع القوم، فنزلت الآية عاتبةً لهذا التصرف (الزمخشري، ١٩٨٦، ٢١٧/٤). يرى الزمخشري أن العتاب الإلهي يهدف إلى توجيه النبي إلى إعطاء الأولوية للمخلصين من المستضعفين الذين يطلبون الهداية بصدق، على حساب السعي وراء زعماء قد يُظهرون الاستغناء. ويُضيف أن النبي، بعد نزول الآية، استوعب الدرس وصار يُعطي الفقراء والمستضعفين اهتمامًا خاصًا، مما يُظهر أثر العتاب في تهذيب أخلاقه (الزمخشري، ١٩٨٦، ٢١٧/٤). يُظهر هذا التحليل تركيز الزمخشري على البعد الأخلاقي والتربوي كجوهر للعتاب الإلهي.

أما القشيري (ت. ٤٦٥ هـ)، الصوفي المعروف برؤيته الروحية، فيُسلط الضوء على الجوانب الأخلاقية والصوفية في تفسيره. يروي أن النبي كان يجلس مع العباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف، يدعوهما إلى الإسلام، فلما اقترب ابن أم مكتوم وألح في طلبه، أعرض النبي عنه لئلا ينقطع حديثه مع الزعماء، فنزلت الآية لتُعلمه أن الاهتمام بالمؤمنين المستضعفين أولى من محاولة كسب أهل النفوذ (القشيري، ١٩٩٩، ٢٥٥/٦). يُبرز القشيري أن هذا العتاب يُشكل درسًا في التواضع وتهذيب النفس، مشيرًا إلى أن النبي، بعد هذه الواقعة، كان يُرحب بابن أم مكتوم ويُكرمه، قائلاً له: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي» (القشيري، ١٩٩٩، ٢٥٥/٦).

في المقابل، يُقدم الفخر الرازي (ت. ٦٠٦ هـ)، المشهور بتفسيره الشامل الذي يجمع بين العقل والنقل، تحليلًا أكثر تفصيلًا. يذكر أن النبي كان منشغلاً بمحاورة زعماء قريش، مثل عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب، عندما جاء ابن أم مكتوم يطلب العلم، فظهر الامتعاض على وجه النبي وأعرض عنه، فنزلت الآية لتصحيح هذا الاجتهاد (الرازي، ١٩٩٩، ٥٤/٣١). يُحلل الرازي الموقف عقليًا، مشيرًا إلى أن النبي أراد التركيز على من قد يُسلمون ويُسلم معهم كثيرون، لكن الله عاتبه ليُبين أن الأولوية لمن يطلب الهداية بإخلاص، كابن أم مكتوم، وليس لمن يُظهر الاستكبار. ويُؤكد أن هذا العتاب لا يتعارض مع مقام النبوة، لأن الأنبياء، وإن كانوا معصومين عن الذنوب، قد يقعون في اجتهادات تحتاج إلى تصحيح إلهي، وهذا دليل على رحمة الله وحرصه على كمالهم (الرازي، ١٩٩٩، ٥٤/٣١). يُضيف الرازي أن النبي، بعد نزول الآية، كان يُظهر تكريمًا خاصًا لابن أم مكتوم، مما يُعزز الغرض التربوي من العتاب (الرازي، ١٩٩٩، ٥٤/٣١). يتميز تحليل الرازي بجمع الرواية التاريخية مع الاستدلال العقلي لدعم هذا الرأي.

يرى البقاعي (ت. ٨٨٥ هـ) في تفسيره «نظم الدرر» أن الآية نزلت في سياق تربوي يهدف إلى تعليم النبي (صلى الله عليه وسلم) أهمية الاهتمام بالمستضعفين. يروي أن النبي كان يحاور زعماء قريش عندما جاء ابن أم مكتوم، فأعرض عنه ليُكمل حديثه، فنزلت الآية لتوجيهه إلى أن الأولوية لمن يسعى إلى التزكية والعلم، كالأعمى، وليس لمن يلهو بالدنيا ويُظهر النفور (البقاعي، ٢٠٠٦، ٣٢٣/٨). يُركز البقاعي على السياق القرآني للآية، مشيرًا إلى أنها جاءت في سورة تُعنى بالتذكير بنعم الله وتهذيب النفوس، مما يدعم فكرة أن العتاب كان وسيلةً لتأكيد قيم العدل والتواضع في الدعوة. ويُضيف أن النبي استوعب هذا الدرس، فكان يُكرم ابن أم مكتوم ويُعطيه مكانةً خاصةً بعد ذلك (البقاعي، ٢٠٠٦، ٣٢٣/٨). يُظهر تفسير البقاعي كيف يمكن للسياق القرآني أن يُعزز الدلالة التربوية للآية.

أما ابن عاشور (ت. ١٣٩٣ هـ)، فيُقدم في تفسيره «التحرير والتنوير» تحليلًا لغويًا وسياقيًا دقيقًا. يؤكد أن الآية نزلت في شأن النبي صلى الله عليه وآله، مستندًا إلى الرواية التاريخية ذاتها، لكنه يُبرز التلطف الإلهي في صياغة العتاب. يشير إلى أن استخدام ضمير الغائب في «عَبَسَ» بدلاً من الخطاب المباشر يعكس رحمة الله ولطفه بالنبي، حيث خُفف وقع العتاب بجعله في صيغة الغيبة (ابن عاشور، ١٩٩٩، ٩٢/٣٠). يروي ابن عاشور أن النبي كان منشغلاً بدعوة زعماء قريش، فلما جاء ابن أم مكتوم، أعرض عنه، فنزلت الآية لتُعلمه أن الأولوية لمن يطلب الهداية بصدق، بغض النظر عن مكانته الاجتماعية. ويُضيف أن النبي، بعد هذه الواقعة، كان يُظهر تكريمًا خاصًا لابن أم مكتوم، مما يُظهر استجابته للتوجيه الإلهي (ابن عاشور، ١٩٩٩، ٩٢/٣٠). يتميز تفسير ابن عاشور بتركيزه على التحليل اللغوي كمدخل لفهم السياق ودلالاته.

يتضح من هذا العرض أن المفسرين مثل الزمخشري والقشيري والفخر الرازي والبقاعي وابن عاشور يتفقون على أن الآية نزلت في شأن النبي صلى الله عليه وآله، مستندين إلى الرواية التاريخية التي تُفيد بأنه عبس وتولى عندما قاطعه ابن أم مكتوم أثناء انشغاله بزعماء قريش. لكنهم يتباينون في زوايا استدلالاتهم: يُركز الزمخشري على الغرض التربوي وتهذيب الأخلاق، ويُبرز القشيري البعد الصوفي والتواضع، بينما يجمع الرازي بين العقل والنقل لتأكيد عدم التعارض مع النبوة، ويُسلط البقاعي الضوء على السياق القرآني، ويقدم ابن عاشور تحليلًا بلاغيًا دقيقًا يكشف عن لطف الله في صياغة العتاب. تُظهر هذه الآراء أن الآية، في نظرهم، تُشكل جزءًا من المنهج الإلهي في تهذيب النبي وتوجيه دعوته، مؤكدةً على أن العتاب لا ينتقص من مقامه، بل يُعزز كماله الأخلاقي ويُرسخ قيم العدل والتواضع في رسالته.

## ٥. آراء المفسرين الذين يعتقدون أن الآية لم تنزل في شأن النبي (ص)

تشكل الآيات الأولى من سورة عبس، وبالأخص قوله تعالى «عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى»، محور نقاش بين المفسرين حول هوية فاعل الفعل «عَبَسَ». في حين يرى جمهور من مفسري أهل السنة أن الآية نزلت في شأن النبي محمد صلى الله عليه وآله يذهب عدد كبير من المفسرين الشيعة، مثل الشيخ الطوسي، والطبرسي، والمغنية، والطباطبائي، وفضل الله، ومغنية، والسبحاني، والكاشاني، إلى أن الآية لم تُوجَّه إلى النبي، بل إلى شخص آخر، مستندين إلى استدلالات لغوية، وسياقية، وروائية تُبرز عدم مناسبة نسبة هذا الفعل إلى النبي. يهدف هذا القسم إلى استعراض آراء هؤلاء المفسرين بشكل دقيق وشامل، مع التركيز على أدلتهم المنطقية والنقلية.

يرى هؤلاء المفسرون أن نسبة العبوس والتولي إلى النبي صلى الله عليه وآله تتناقض مع مقامه الأخلاقي الرفيع الذي أثبته القرآن في مواضع عدة، وأن السياق القرآني والروايات البديلة تشير إلى أن الفاعل هو شخص آخر، غالبًا من المتكبرين أو المنافقين. تتفق آراؤهم في الاعتماد على الأدلة اللغوية والسياقية، مع اختلافات في التفاصيل والتركيز. فيما يلي عرض دقيق لهذه الآراء:

الشيخ الطوسي (ت. ٤٦٠ هـ)، أحد رواد التفسير الشيعي، يقدم رأيًا يعتمد على التحليل اللغوي والأخلاقي. يرى أن العبوس والتولي لا يليقان بمقام النبي، خاصة مع المؤمنين المسترشدين، مشيرًا إلى أن القرآن وصفه بأنه «عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم: ٤)، وأمره بأن يخفض جناحه للمؤمنين (الشعراء: ٢١٥). يضيف أن الروايات التي تنسب العبوس إلى النبي ضعيفة، وأن الآية نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي، فعندما جاء ابن أم مكتوم، عبس ذلك الرجل وأعرض عنه، فنزلت الآية في شأنه (الطوسي، ١٩٩١، ٢٦٨/١٠). يركز الطوسي على التناقض بين العبوس وأخلاق النبي، مستندًا إلى الروايات البديلة.

الطبرسي (ت. ٥٤٨ هـ)، في تفسيره «مجمع البيان»، يتبنى نهجًا مشابهًا. يذكر أن العبوس ليس من صفات النبي، خاصة مع المؤمنين، وأن الآية نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي، فعبس وتولى عندما جاء ابن أم مكتوم (الطبرسي، ١٩٩١، ٤٣٧/٥). يضيف أن النبي أظهر لطفًا خاصًا بابن أم مكتوم بعد ذلك، مما يدل على أنه لم يكن العابس، بل كان يكرمه استجابة للآية (الطبرسي، ١٩٩١، ٤٣٧/٥). يعتمد الطبرسي على الروايات البديلة وسلوك النبي اللاحق كدليل.

المغنية (ت. ١٣٩٩ هـ) يقدم تحليلًا يجمع بين اللغة والسياق. يرى أن الآية لم تُصرح بأن العابس هو النبي، وأن ضمير الغائب يشير إلى شخص آخر، ربما من المنافقين أو المتكبرين. يضيف أن النبي كان مشغولًا بدعوة زعماء قريش لمصلحة الإسلام، وأن إعراضه عن الأعمى كان اجتهادًا لا يستحق العتاب، لأن دعوة الكفار إلى الإسلام أهم من تعليم المؤمنين الفروع (المغنية، ١٩٩٩، ٥١٥/٧). يبرز المغنية أن الآية توجيه عام لتقديم المستضعفين على المتكبرين، دون توجيه عتاب للنبي.

الطباطبائي (ت. ١٤٠٢ هـ)، في «الميزان»، يقدم تحليلًا عميقًا يعتمد على اللغة والسياق القرآني. يذكر أن الآية لم تُحدد فاعل الفعل، وأن نسبة العبوس إلى النبي تتعارض مع وصفه بالخلق العظيم في سورة القلم، التي نزلت قبل سورة عبس. يضيف أن الروايات التي تنسب العبوس إلى النبي ضعيفة، وأن الآية نزلت في رجل من بني أمية (الطباطبائي، ١٩٧٠، ١٩٩/٢٠). يركز على التناقض بين العبوس وأخلاق النبي، مستندًا إلى السياق القرآني.

فضل الله (ت. ١٤٣١ هـ) يرى أن الآية نزلت في شخص آخر، لكنه يقدم تحليلًا يوازن بين الرواية التاريخية وعصمة النبي. يذكر أن النبي كان مشغولًا بدعوة زعماء قريش، وأن إعراضه عن الأعمى كان ناتجًا عن حرصه على هدايتهم، وأن العتاب كان توجيهًا للأولويات في الدعوة (فضل الله، ١٩٩٩، ٥٧/٢٤). يضيف أن الآية لا تنتقص من مقام النبي، بل تؤكد أهمية الاهتمام بالمستضعفين (فضل الله، ١٩٩٩، ٥٧/٢٤).

مغنية (ت. ١٣٩٩ هـ) يشير إلى أن الآية لم تُصرح بفاعل الفعل، وأن نسبة العبوس إلى النبي تتعارض مع أخلاقه، مؤكدًا أنها نزلت في رجل من بني أمية (مغنية، ١٩٩٩، ٥١٥/٧). يعتمد على الروايات البديلة لدعم رأيه.

السبحاني (ت. ١٤٤٦ هـ) يرى أن نسبة العبوس إلى النبي تتعارض مع مقامه الأخلاقي، وأن الآية نزلت في رجل من بني أمية، مستندًا إلى روايات تؤكد ذلك (السبحاني، ٢٠٠٠، ٩٧/٣٠). يضيف أن الآية عتاب عام لمن يعرض عن المستضعفين، دون توجيه للنبي.

الكاشاني (ت. ١٠٩١ هـ)، في «منهج الصادقين»، يعتمد على التحليل الأخلاقي، مشيرًا إلى أن العبوس لا يليق بالنبي، وأن الآية نزلت في رجل من بني أمية (الكاشاني، ١٩٩٩، ٦٨/١٢). يضيف أن الروايات التي تنسب العبوس إلى النبي مختلقة من أهل النفاق لتشويه صورة الأنبياء (الكاشاني، ١٩٩٩، ٦٨/١٢). يتناول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي الآية الأولى من سورة عبس في تفسيره ويرى أنها لا تُعيّن النبي محمد صلى الله عليه وآله كفاعل بشكل صريح، بل تُظهر عتابًا إلهيًا موجهًا لشخص قدّم المال والمكانة الاجتماعية على طلب الحق، دون أن تُحدد هويته بدقة. يقدم الشيخ رؤية متوازنة تجمع بين الرواية التقليدية والبديلة، مع ميل إلى تأييد الرأي الذي ينفي توجيه الآية إلى النبي، مستندًا إلى أدلة لغوية وسياقية وأخلاقية.

ينقل الشيخ الرواية التقليدية المشهورة بين المفسرين التي تذكر أن الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله، حيث كان يناجي زعماء قريش (عتبة بن ربيعة، أبو جهل بن هشام، العباس بن عبد المطلب، وأبي وأمية بن خلف) لدعوتهم إلى الإسلام، آملاً في هدايتهم لما لها من أثر في إسلام أتباعهم وتخفيف عدائهم. في تلك الأثناء، جاء عبد الله بن أم مكتوم، وهو أعمى، يطلب من النبي أن يقرئه

ويعلمه، فناداه وكرر طلبه دون أن يدرك انشغال النبي، حتى ظهرت الكراهة على وجه النبي، وقال في نفسه: «يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعبيد»، فأعرض عنه وأقبل على القوم، فنزلت الآية عاتبةً له (مكارم الشيرازي، ٢٠٠٠، ٤١١/١٩). لكنه يعرض أيضًا الرأي البديل عن الإمام الصادق (عليه السلام)، الذي يفيد أن الآية نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي، فلما جاء ابن أم مكتوم تقذر منه وعبس وأعرض بوجهه، فحكى الله ذلك وأنكره عليه، وهو رأي أيّده الشريف المرتضى.

يؤكد الشيخ أن النص القرآني لا يدل صراحة على أن المخاطب هو النبي، إذ جاءت الآية بصيغة ضمير الغائب دون تحديد الفاعل، مما يجعل التأويل مفتوحًا، ولا يلزم أن يكون النبي هو المقصود. يرى أن العبوس والتولي لا يليقان بخلق النبي العظيم، كما وصفه القرآن في سورة القلم (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)، التي نزلت قبل سورة عبس. ويسأل: كيف يمكن أن يعبس النبي مع المؤمنين المسترشدين، بينما لم يكن كذلك حتى مع أعدائه؟ ويؤكد أن التصدي للأغنياء والتلهي عن الفقراء يتنافى مع أخلاقه الكريمة. ويشير إلى أن الآيات التالية (٨–١٠) (وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ) قد تُوحي بأن النبي هو المخاطب، لكن هذا لا يعني أن العبوس نُسب إليه، بل قد يكون توجيهًا عامًا لتحديد الأولويات، مع التركيز على نقد المتكبرين الذين يتجاهلون المستضعفين (مكارم الشيرازي، ٢٠٠٠، ٤١٢/١٩). يقر الشيخ أنه إذا صح الرأي التقليدي، فإن فعل النبي كان تركًا للأولى لا ينافي العصمة، مستندًا إلى أنّ النبي أعرض عن الأعمى ليسأل عن هداية زعماء قريش، بهدف نشر الإسلام وتحطيم صف أعدائه، وليس لأغراض شخصية. والعبوس أو الانبساط لا يؤثران على الأعمى لأنه لا يراهما، مما يقلل من وقع الفعل . وسلوك ابن أم مكتوم لم يراع آداب المجلس بمقاطعته المتكررة، لكن الله عاتب النبي لتأكيد أهمية اللطف مع المستضعفين. ويؤكد أن العتاب، سواء كان للنبي أو لغيره، يكشف عن اهتمام الإسلام بالمستضعفين، وأن الفقير المؤمن أفضل من الغني المشرك، مبرزًا أن القرآن حدد للنبي أرفع مستويات المسؤولية بتجنب أدنى جفاء مع طالبي الحق (مكارم الشيرازي، ٢٠٠٠، ٤١٣/١٩).

النسخة قابلة للاصدار غير المنقحة

## ٦. النتائج

بعد استعراض دقيق لآراء المفسرين حول الآية الأولى من سورة عبس (عَبَسَ وَتَوَلَّى)، يمكن صياغة النتائج التالية بناءً على نقد رأي مفسري أهل السنة الذين يعتقدون أن الآية نزلت في شأن النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتعزيز وجهة نظر المفسرين الذين يرون أنها لم تُوجَّه إليه:

يرى مفسرو أهل السنة، مثل الطبري والزمخشري وابن كثير، أن الآية نزلت في سياق حادثة تاريخية تتعلق بالنبي صلى الله عليه وآله حيث أعرض عن الصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم –وهو أعمى– أثناء انشغاله بدعوة زعماء قريش إلى الإسلام. يستند هؤلاء المفسرون إلى روايات تاريخية تذكر أن النبي عبَس في وجه ابن أم مكتوم لانشغاله بأمر أكبر، ومن ثم نزلت الآية تعاتبه على ذلك. لكن هذا التفسير يثير عدة إشكاليات تستدعي النقد. أولاً، يصعب التوفيق بين هذا السلوك المنسوب إلى النبي وبين ما وصفه به القرآن الكريم في مواضع أخرى، كقوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (سورة القلم: ٤)، وقوله: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ» (سورة آل عمران: ١٥٩). فكيف يمكن أن يُنسب إلى النبي –المعروف بلطفه وحلمه– أن يعبس ويتولى عن مؤمن أعمى جاء يطلب الهداية؟ ثانيًا، تعتمد هذه الروايات على أحاديث آحاد غير متواترة، وقد تكون ضعيفة أو مشكوكًا في دقتها، مما يضعف الحجة التاريخية لهذا التفسير. ثالثًا، إن السيرة النبوية تشهد بتواضع النبي ورحمته بالمستضعفين، مما يجعل نسبة العبوس إليه أمرًا يتعارض مع هذا السياق الأخلاقي الثابت.

في المقابل، يقدم المفسرون الذين يرون أن الآية لم تُوجَّه إلى النبي، مثل الشيخ الطوسي والطبرسي والطباطبائي وفضل الله والسبحاني والشيرازي تفسيرًا يعتمد على أدلة لغوية وسياقية قوية تدعم موقفهم. يشير هؤلاء إلى أن الآية جاءت بصيغة ضمير الغائب (عَبَسَ) دون تحديد الفاعل بشكل صريح، مما يفتح المجال لتأويلات متعددة، ولا يلزم أن يكون النبي هو المقصود. كما أن السياق العام لسورة عبس يركز على نقد الإنسان المتكبر الذي يُعرض عن الحق وعن الفقراء والمستضعفين، كما في قوله تعالى لاحقًا في السورة: «كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ» (عبس: ١١)، مما يجعل من المنطقي أن يكون العابس شخصية تمثل هذا النموذج من المتكبرين، وليس النبي الذي كان داعيةً للتواضع والرحمة. علاوةً على ذلك، هناك روايات بديلة تذكر أن العابس كان رجلاً من بني أمية، أو شخصية أخرى من المتكبرين في المجتمع المكي، مما يعزز هذا التفسير. وأخيرًا، إن نسبة العبوس إلى النبي تتعارض مع مقامه الأخلاقي الرفيع الذي أثبتته النصوص القرآنية والسيرة، مما يجعل هذا التأويل غير متناسق مع الغرض التربوي للآية.

بناءً على هذا التحليل، يمكن الاستنتاج أن الآية الأولى من سورة عبس لم تُوجَّه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، بل كانت تعبيرًا عن نقد سلوك إنسان متكبر يُعرض عن المستضعفين ويزهد فيهم. هذا الفهم يتسق مع السياق القرآني العام للسورة، ويتماشى مع الأخلاق النبوية المثلى، ويحقق الهدف التربوي من الآية في تعزيز قيم العدل والتواضع والاهتمام بالضعفاء. وبهذا، يتضح أن التفسير الذي ينفي توجيه الآية إلى النبي يقوم على أسس أكثر تماسكًا من الناحية اللغوية والسياقية والأخلاقية، مقارنةً بالتفسير الذي يعتمد على روايات قد تفتقر إلى القوة والثبات.

## ۷.المصادر والمراجع


*قرآن کریم

إبراهيم، محمد إسماعيل .(2000) **معجم المعاني اللغوية** .القاهرة: دار الشروق .

ابن سيده، علي بن إسماعيل .(2000) **المحكم والمحيط الأعظم** .بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن عاشور، محمد الطاهر .(1999) **التحرير والتنوير** .تونس: الدار التونسية للنشر .

ابن فارس، أحمد بن فارس .(1983) **معجم مقاييس اللغة** .قم: مكتب الإعلام الإسلامي .

ابن كثير، إسماعيل بن عمر .(1998) **تفسير القرآن العظيم** .بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن منظور، محمد بن مكرم .(1993) **لسان العرب** .بيروت: دار صادر .

الأزهري، محمد بن أحمد .(2001) **تهذيب اللغة** .القاهرة: دار المعارف .

البقاعي، إبراهيم بن عمر .(2006) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** .بيروت: دار الكتب العلمية .

الثعالبي، عبد الملك بن محمد .(1997) **فقه اللغة** .بيروت: دار الكتب العلمية .

الجوهري، إسماعيل بن حماد .(1990) **الصحاح** .بيروت: دار العلم للملايين .

الرازي، فخر الدين .(1999) **التفسير الكبير** .بيروت: دار إحياء التراث العربي .

الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد .(1991) **المفردات في غريب القرآن** .بيروت: دار القلم .

الزمخشري، محمود بن عمر .(1986a) **أساس البلاغة** .بيروت: دار الكتب العلمية .

الزمخشري، محمود بن عمر .(1986b) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** .بيروت: دار الكتاب العربي .

السبحاني، جعفر .(2000) **مفاهيم القرآن** .قم: مؤسسة الإمام الصادق .

الطباطبائي، محمد حسين .(1970) **الميزان في تفسير القرآن** .بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

الطبرسي، فضل بن حسن .(1991) **مجمع البيان في تفسير القرآن** .قم: دار الكتاب .

الطبري، محمد بن جرير .(1999) **جامع البيان في تفسير القرآن** .بيروت: دار المعرفة .

الطوسي، محمد بن حسن .(1991) **التبيان في تفسير القرآن** .بيروت: دار إحياء التراث العربي .


النسخة ما قبل الإصدار غير النهائية

العدناني، عبد الله .(2005) **المعجم اللغوي الحديث** .بيروت: دار الفكر .

الفراهيدي، خليل بن أحمد (١٤٠٩ هـ) .**كتاب العين** .تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي .قم: دار الهجرة .

فضل الله، محمد حسين .(1999) **من وحي القرآن** .بيروت: دار الملاك .

القشيري، عبد الكريم بن هوازن .(1999) **لطائف الإشارات** .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الكاشاني، فتح الله .(1999) **منهج الصادقين** .بيروت: دار التعارف .

المغنية، محمد جواد .(1999) **التفسير الكاشف** .قم: دار الكتاب الإسلامي .

مكارم الشيرازي، ناصر .(2000) **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل** .قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

النسخة ما قبل الإصدار (غير المنقحة)